RIMAK International Journal of Humanities and Social Sciences
ISSN: 2717-8293
Volume 6, Issue 3, May 2024

Received: 13/02/2024 **Accepted:** 08/04/2024 **Published:** 01/05/2024

THE POLICY OF GOOD KING AND THE POLICY OF THE GREAT BY IBN RUSHUD (AL-THARWRY FI AL-SIYASA)(D595/1198)

Dr. Hind Sattar Hadi AL-TEMEME [1]

Aliraqia university, Iraq

Abstract:

Abu Al- Walid Muhammad Ibn Ahmad Ibn Muhammad Ibn Rushusd Al- Andalusy, known IbnRushud Al-Hafid(grandson) was a famous muslim philosopher in Al-Andalus with his special thoughts specificaly the political sides, he was born in (520/1126) and learned many science in(jurisprudence, medicin, mathematics and astronomy) , he wrote books like (Tahafut Al-Tahafut, Fasil Al Maqal Fima ben Al Hikma WalShariya Min Alitisal).

Some people wonders from those who spending their times in reading and studying history or ancient history like the past of some nations and its political life as its over and no worthless in these kind of studies while it's a real treasure helps to know and understand your present more clearly by applying the researchers with more specific information like Ibn Rushud s book(Al-Tharwry Fi Alsyasa) which its first print was in 1988 in Beruit and completed its copy by the Moroccan Author(Muhammad Hamid Al-Jabiry), it was pretty famous in the end of the sixth century till now, Ibn Rushud used mental analyze and proves in this book and approved cure for political issue by showing the political diversity and its terms for equal and justice with peoples.

Its reflecting the improving in political history of the nations which spread in Europe with some scientific debate till now cause his thoughts was for some societies which lead them to translated to their language

Key Words: Policy, Politicians, Governors(Wilat), Ibn-Rushud.

http://dx.doi.org/10.47832/2717-8293.29.21

[1] hind.s.hadi@aliraqia.edu.iq

سياسة الملك الفاضل وسياسة الأخيار في كتاب الضروري في السياسة لابن رشد (ت 595هـ/1198م)

د. هند ستار هادي التميمي

الجامعة العراقية، العراق

الملخص:

عدّ أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الأندلسي، المعروف بابن رشد الحفيد فيلسوفا أندلسيا وقاضيا معروفا، ونشأ في أسرة مشهورة بالعلم والأدب والفلسفة، له آراء وأفكار عدة وخاصة في المجال أو الجانب السياسي فضلا عن دراسته الفقه، والأصول، والطب، والرياضيات، والفلك، والفلسفة، ولد في قرطبة سنة (520هـ/1126م) وله مصنفات عدة منها (تهافت التهافت، وفصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال) وغيرها كثير، ويعجب البعض من المفكرين من اشتغال المؤرخين، والسياسيين، والعلماء بأخبار الأقدمين والوقوف على أخبارهم والأخذ بالصحيح مما يستنبطونه ويستنتجونه إذ يعتقدون أن كل قديم قد انتهى زمانه، إلا أن البحث في التاريخ عامة وتاريخ السياسة خاصة ضروريا لمعرفة الجديد وفهمه وتزويد المهتم بهذا الجانب بمعلومات مختلفة تمكنه من التقدم في حقول دراسته وتطويرها بما يخدم مجتمعه، وأن الفكر السياسي الذي قدمه ابن رشد (ت595هـ/1198م) في أواخر القرن السادس الهجري/الثاني عشر ميلادي متمثل بكتابه (الضروري في السياسة) وهو مختصر كتاب السياسة لافلاطون، والذي صدرت طبعته الأولى في عام 1988 في بيروت عن مركز دراسات الوحدة العربية ضمن المشروع الذي أنجزه المفكر المغربي محمد عابد الجابري لإصدار وإعادة إصدار مؤلفات ابن رشد، ونقله إلى العربية الدكتور (احمد شحلان) بعد ضياع النسخة العربية هذا الكتاب القيم الذي عرض فيه المشاكل السياسية وعلاجها، وتناول فيه تنوع السياسات، والشروط المطلوبة في الساسة لضمان حكمهم بما ينصف المجتمع، وطبائع النفوس وانعكاسها في طبيعة سياستهم، معتمدا في عرض مادته على التحليل العقلي، والأدلة، والبراهين.

*الدكتورة هند ستار هادي التميمي، دكتوراه في التاريخ عامة والتاريخ الإسلامي خاصة/النظم المالية الاقتصادية الإسلامية خاصة، حاصلة على شهادة الدكتوراه من جامعة بغداد/كلية الآداب سنة 2014 بامتياز، ونشرت بحوث عدة، فضلا عن خمس شهادات في اللغة الانكليزية واختبار صلاحية تدريس اللغة الانكليزية من كلية الاداب.

فضلا عن هذا فقد برز الموضوع من الأهمية كونه يمثل انعكاسا واضحا لتطور التاريخ السياسي للأمم

ونتاجها الفكري كون أفكاره لا تزال تسبق عصرها في بعض المجتمعات، فسرعان ما هاجرت آراءه إلى أوربا وترجمت إلى اللاتينية والعبرية وأثارت جدلا خصبا في المجتمعات الغربية .

الكلمات المفتاحية: السياسة، السياسيون، الولاة، ابن رشد.

المقدمة:

هو شروط وسمات سياسية تبلورت في فكر الفيلسوف ابن رشد (ت595هـ/1198م) تميزت بدقتها وقيمتها المهمة في وقتنا الحاضر وفي أوربا أيضاً التي راعى فيها حق السياسي وحق الناس كونهم رابط يسند بعضهم بعضا بما فيه الصالح العام للجميع شرط العدل والمراعاة للحقوق والواجبات وخلافه تنعدم قيم السياسة.

وبلغ الموضوع من الأهمية كونه يتناول الفكر السياسي في القرن السادس الهجري/الثاني عشر ميلادي بمنظور فلسفي، فضلا عن التعرف على نشأة الفيلسوف، والطبيب، والقاضي، ذي المصنفات التي تفوق الخمسين مؤلفا بآراء فكرية فلسفية متأثرا بأسرته العلمية ونشأته في كنف عائلته التي تناولت العلم بشغف منذ أجيال، وكذلك من المهم معرفة الأسلوب والمنهج الذي اتبعه الساسة أو الولاة في تلك المدة متمثلة بكتاب الضروري في السياسة كأهمية الشجاعة والمساواة وحب العلم التي وجب نشأة السياسي أو تطبيعه عليها.

ويتضمن البحث مقدمة ومبحثين، يتناول المبحث الأول: السيرة الذاتية لابن رشد، ونشأته، وعلومه، ورأي العلماء فيه، والمحنة التي مر بها، ومصنفاته، ووفاته. بينما المبحث الثاني: سياسة الملك الفاضل وسياسة الأخيار في كتاب الضروري في السياسة لابن رشد(ت595هـ/1198م) وفيه، أثر طبائع النفوس في السياسة مثل الملكية المدنية، وشروط الفضائل، وملكية الإقناع والإكراه، والكذب في السياسة، وشروط الرئاسة مثل الثبات على الرأي، وحب الناس أو المدينة، ودلالات الكفء السياسي مثل سيادة العلم، والعفة، والعدل، وأن يكون فيلسوفا، فضلا عن الخلاصة وقائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول: السيرة الذاتية لابن رشد:

أولا: نشأة ابن رشد:

1- اسمه ونسبه:

هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد الحفيد، (الضبي، 1967) يطابق اسمه اسم جده واسم ابي جده وكل منهما قرطبي، وكل منهما قاض، وكل منهما يقال له ابن رشد فاحتاجوا أن يقولوا ابن رشد الحفيد وابن رشد الجد حتى يميزوا بينهما. (المراكشي، 2006)

ولد بقرطبة قبل موت جده بشهر سنة (520هـ/1226) ونشأ وترعرع بها. (الذهبي، 2006)

2- علومه:

وأخذ العلم عن والده ابي العباس أحمد المعروف بالعلم، والدين المتين فكان اللبنة الأولى لبناء صرحه العلمي الشهير " وعرض الموطأ على ابيه"، (الذهبي، 2006) ودرس على عدد من الشيوخ مثل الفقيه المشاور ابي مروان عبد الملك بن مسرة اليحصبي، وأبي محمد بن رزق، وأبي علي الغساني، وأبي مروان عبد الملك بن سراج بن عبد الله إمام اللغة في الاندلس، (بن بشكوال، 1995) وأبي مروان بن حزبول (الصفدي، 2000) وغيرهم بين فقيه، وأديب، وطبيب، ولم نقف على أغلب تراجم حياتهم في كتب الطبقات والتراجم.

وأقبل على "علم الكلام والفلسفة وعلوم الأوائل حتى صار يضرب به المثل"، (المراكشي، 2006) وكان "يحفظ ديوان أبي تمام والمتنبي"، (المراكشي، 2006) وبرع في الطب، فنهل من كل العلوم وتنوع في الأخذ من الشيوخ حتى انفرد بعلمه وآرائه السياسية الفاضلة وفلسفته المرموقة، وأن نشأته في أسرة مردت على الدراسة والتعلم أثرت في شخصه حتى أصبح "قاضي قرطبة". (الذهبي، 2006).

3- رأي العلماء فيه:

وعدَ الضبي ابن رشد "فقيها، حافظا، مشهورا، مشاركا في علوم جمة"، بينما وصفه المراكشي أنه"يضرب به المثل" (الضبي، 1967) ، وأشاد بذكره ابن أبي اصيبعة" مشهورا بالفضل، مهتما بتحصيله، اوحد في علم الفقه والخلاف" (بن ابي اصيبعة، بلا) ،وفيه ذكر شمس الدين الذهبي" قال الابار: لم ينشأ بالاندلس مثله كمالا، وعلما، وفضلا، وكان متواضعا منخفض الجناح، مال إلى علوم الحكماء فكانت له فيها الامامة" (الذهبي، 2006)، وفي مدحه ذكر اليافعي" وكان ذا ذكاءا مفرطا وملازما للاشتغال ليلا ونهارا" (اليافعي، 1997)، وورد عند ابن فرحون "من أهل العلم والجلالة" (بن فرحون، بلا) وكان على شرفه من اشد الناس تواضعا، واخفضهم جناحا، "وعني بالعلم من صغره إلى كبره حتى حكي أنه لم يدع النظر ولا القراءة من عقله إلا ليلة وفاة أبيه وليلة بنائه على أهله"، (بن فرحون، بلا) بينما عدَّه ابن العماد الحنبلي " من أوعية العلم" (بن العماد الحنبلي، 1986).

4- محنة ابن رشد:

ولم تكن محنة ابن رشد أول المحن والنكبات فقد سبقها الكثير وذكرها التاريخ والمؤرخون والمصنفون فقد درس ابن رشد على علماء، ومفكرين، وفقهاء، وأطباء عدة حتى تبلور لديه أفكاره وارآئه المهمة في العلوم عامة وفي السياسة

والفلسفة خاصة حتى نال منزلة مرموقة عند الموحدين وملكهم أبي يوسف يعقوب بن المنصور بن عبد المؤمن "وجيها في دولته وكذلك أيضاً عند ولد الناصر الذي يحترمه كثيرا". (بن ابي اصيبعة، بلا)

وسرعان ما نقم عليه المنصور وأمر بنفيه إلى " اليسانة وهي بلد قريب من قرطبة وأن لا يخرج منها"، (بن ابي اصيبعة، بلا) واختلف المصنفون في سبب النفي عند المراكشي أمتحن آخر عمره "أهانه ثم أكرمه ومات" (المراكشي، 2006) ،وعند ابن أبي اصيبعة "لاشتغاله بالحكمة وعلوم الأوائل" (بن ابي اصيبعة، بلا)، ويتفق معه شمس الدين الذهبي الذي عد اشتغاله بهذه العلوم والوشاية به من أسباب محنته الواضحة والجلية فقد أمر الخليفة " بإحراق كتب الفلسفة سوى الطب والحساب والمواقيت ولما رجع إلى مراكش نزع عن ذلك كله وجنح إلى تعلم الفلسفة واستدعى ابن رشد للإحسان إليه فحضر ومرض ومات" (الذهبي، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، 1993).

وأن المصادر لم تذكر شيئا عن محنته سوى ما ورد أعلاه رغم تناولهم تفاصيل نشأته، وعلومه، ومؤلفاته، ورغم محنته وحرق كتب فلسفته إلا أنه عدَ ولعصرنا هذا فيلسوفا شهيرا وله تأثيرا مهما.

5- مصنفاته:

تعددت مصنفات ابن رشد إلى ما يزيد عن خمسين كتابا في الطب، والفقه، والفكر السياسي، والفلسفة، والكلام، وعلوم عدة، منها:

1- شرح ارجوزة ابن سينا في الطب، (المراكشي، 2006).

2-التحصيل، جمع فيه اختلاف العلماء، (الصفدي، 2000).

3- شرح كتاب المقدمات في الفقه لجده، (الصفدي، 2000).

4- كتاب نهاية المجتهد، (المراكشي، 2006).

5- كتاب الضروري في السياسة(موضوع البحث)، (المراكشي، 2006).

وهذا يعني ان ابن رشد قضى عمره في الكتابة والتصنيف منشغلا بتحصيل العلم وكتابة ما تعلمه من سنوات رحلته في طلبه العلم بين مجالس الشيوخ في مختلف البلدان.

6- وفاته:

توفى ابو الوليد محمد بن أحمد بن رشد في مراكش سنة 595هـ/1198م، (الضبي، 1967).

المبحث الثاني: سياسة الملك الفاضل وسياسة الأخيار في كتاب الضروري في السياسة لابن رشد(ت595هـ/1198م):

أولا: أثر طبائع النفوس في السياسة:

1- الملكة المدنية:

وصنف ابن رشد السياسات إلى انواع عدة (سياسة الكرامة، وسياسة الرجال، والقلة وهي خدمة المال وتعرف أيضاً بالرئاسة الحسنة، والرياسة الجماعية، ورياسة وحدانية التسلط)، وتندرج جميعها تحت مسمى السياسة الفاضلة والسياسة الغير فاضلة، (بن رشد، 1998).

وأن بينهما نقيض واختلاف ينعكس في سياسة الخليفة لرعيته، منها سياسة الملك الفاضل وسياسة الأخيار مثل الملكة المدنية " فضائل نظرية(عقلية)، وفضائل علمية(فكرية)، وفضائل خلقية، وصنائع عملية"، (بن رشد، 1998، صفحة 74)، بينما عدَ الوزير المغربي السياسات "ثلاث، سياسة السلطان لنفسه، وساسته الخاصة، والثالثة لرعيته"، (الوزير المغربي، بلا) وزاد عليه ابن الطقطقي بخمس" سياسة المنزل، والقرية، والمدينة، والجيش، والملك" (بن الطقطقي، 1997).

فهي جميعها ملكات وأفعال إرادية اما طبيعية ترسخها في شخص الفرد عامة والساسة خاصة معتمدة على ما طبعت عليه النفوس عند نشأتها وفقا لقول ابن رشد" إذ أن من المتعذر أن يوجد إنسان واحد فاضل تجتمع فيه هذه الفضائل دفعة واحدة، وإن أمكن ذلك فالعثور عليه عسير جدا لكن يحصل في الأغلب أن توجد هذه الفضائل متفرقة في أفراد كثيرين"، (بن رشد، 1998) وهذا طبيعي كون الإنسان لم يخلق كاملا إنما الكمال لجلالته.

ولكن بالإمكان تطبيع النفس على هذه الملكة بمساعدة أناس آخرون "ولذلك قيل بحق عن الإنسان أنه مدني بالطبع"، (بن رشد، 1998) ثم وصل ابن رشد هذه الفضائل وانفرادها بشخص دون غيره كنوع من التميز يؤهله إلى الحكم أو سياسة البلاد " على امتناع وجود أشخاص من الناس بهذه الصفة،...فليس كل إنسان معدا لأن يكون محاربا، أو خطيبا، أو شاعرا، وبالأحرى أن يكون فيلسوفا"، (بن رشد، 1998، صفحة 76).

ويبدو أنه أراد أن يبين أن السياسي الفاضل يتميز بمؤهلات تمكنه من إدارة وسياسة عمله بينما الأخيار منهم قد لا تجتمع فيهم هذه الطبائع وهم والحالة هذه بحاجة إلى اكتسابها ليصلوا إلى مرحلة السياسة الفاضلة.

وأن هذا الانفراد هو الموجب بالانقياد كانقياد الرعية للخليفة أو الناس للساسة " بأن يتبع أقلهم كمالا إكثرهم كمالا قصد التهيؤ لكماله الخاص به، وأن يفيد أكملهم أنقصهم في ذلك"، (بن رشد، 1998).

2- ملكة الشجاعة:

وتجتمع في الساسة أو الخلفاء شروطا لا بد من توفرها لتكتمل الفضيلة والقدرة على تيسير المنهج السياسي ك" الشجاعة حيث يجب وبالمقدار الذي يجب والوقت الذي يجب"، (بن رشد، 1998، صفحة 78) فبعض الطبائع تحتاج إلى التدرج "إلى أن يبلغوا كمالهم ثم إذا بلغوا كمالهم يعرفون كيف يحافظون عليها"، (بن رشد، 1998).

وقد تجتمع الفضائل مع بعضها لتقوية حنكة الساسة وتصل إلى كمالها مع حاجتها لقوة العقل " لإخراجها إلى الفعل في المدن وعند الأمم"، (بن رشد، 1998، صفحة 79).

وورد عند الماوردي سبعة شروط واجب توفرها في الساسة أو الولاة " العدالة،...والعلم،...وسلامة الحواس من السمع والبصر،...وسلامة الأعضاء،...والرأي المفضي إلى سياسة الرعية وتدبير المصالح،...والشجاعة، والنسب"، (الماوردي، بلا).

وأكد ابن رشد على الشجاعة كونها أساس لبناء مجتمع صالح ضاربا مثلا بصباغة الصوف " لأول مرة باللون الأبيض كأساس ثم يشرعون بمعالجته حتى يغدو لا يتغير لونه"، (بن رشد، 1998، صفحة 118). وكذلك الناس " إذا لم ينشأوا على الأخلاق التي وصفنا، ولم تصقل طباعهم فإنه مما لا ريب فيه أن هذا الإيمان سيضعف في نفوسهم فتزول صبغتهم لأن الشهوات هي أقدر الأشياء على إزالة الفضائل ومحوها وكذلك الخوف والجبن"، (بن رشد، 1998).

وزاد ابن رشد على الشجاعة، الطاعة " يطيعون بإخلاص أكابرهم الذين يعرضون عن اللذات ولا يتركونها تسيطر عليهم..."، (بن رشد، 1998، صفحة 92). لما لها من قوة وقدرة على ضبط النفس فمن " قصر عن سياسة نفسه كان عن سياسة غيره اقصر"، (القلعي، بلا).

3- **ملكة الاقناع والاكراه:**

ويتجه الساسة إلى تبني ملكة ضرورية في طبيعة ميدانهم العملي في شروطها الاقناع والاكراه لغرض " العمل بها في المدينة"، (بن رشد، 1998). وقد تستخدم هذه الملكة لأعمال غير صالحة تخالف منفعة الناس، وقد تأتي من التجارب والتعامل مع الناس أو بالقوة العقلية، وأن لهذه الملكة من الأهمية كونها تمثل وسيلة خطابية مهمة لإقناعهم بأفكاره ومبادئه، فقد ذكر الغزالي أن " القوة العقلية هي أشرف القوى والأخرى متعلقة بالقوة الحسية وهي السمع"، (الغزالي، 1962).

أ- **الأقاويل الخطابية والشعرية:**

ويذكر ابن رشد أهمية الأقاويل الخطابية والشعرية كجزء من هذه الملكة للتحدث مع جمهور الساسة أو الرعية " وأما الخاصة فتعليمهم العلوم النظرية يكون بالطرق اليقينية(البرهانية)"، (بن رشد، 1998). أي أنه حث على تنمية اللغة وتدريب اللسان على النطق السليم لما له من أهمية في إقناع الناس وسياستهم.

ب-الإكراه والعقاب:

بالضرب وهي لا تنفع مع أهل المدينة الفاضلة إنما أقرب إلى فنون الحروب وامتهانها أو للجماعات التي " لا تجري أفعالها على المجرى الإنساني فلا سبيل إلى تأديبها إلا هذه"، (بن رشد، 1998، صفحة 80). وهنا تبرز مهنة ابن رشد القاضي العادل فهو يرفض التعدي بهذه الملكة إلا من تعدى وظلم وأمن العقاب.

4- **الكذب في السياسة:**

وبين ابن رشد تباين مواضع الكذب في الخطاب السياسي وفقا لطبيعة المتلقي فقد وجب الصدق مع الحفظة " لأن الكذب لا يليق بالصالحين، ولا بالملوك، ولا بالجمهور"، (بن رشد، 1998، صفحة 91). وإن فعل وجب عقابه للضرر الذي ينجم عنه " فهو كالضرر الذي يحصل من كذب المريض على الطبيب في موضوع مرضه"، (بن رشد، 1998).

وأما إذا كان المتلقي من العامة "فهو يصلح لهم على نحو ما يصلح الدواء للمريض... لأن الحكايات الكاذبة ضرورية في تعليم أهل المدينة وليس هناك من لا يستعمل القصص المخترعة لأنها ضرورية للعمل في تحصيل السعادة"، (بن رشد، 1998).

وهذا يعني أنه عدَّ الكذب بما يقتضي صالح الناس جزء من السياسة وحسب المتلقي ولم يرد به الكذب المضر بالناس فإن " رأى أن يرتب مراتبهم فليس ما جاء به منافيا للنظر للمسلمين فلزم تنفيذه وهذا متفق عليه لا خلاف فيه"، (الجويني، 1980).

ويتضح في منهج ابن رشد عند عرض مادته أنه متأثرا بمهنة الطب فقد عمد على ذكر أمثلة توضيحية لمعظم آرائه السياسية في تجارب الأطباء مع المرضى بهذا الميدان.

وهذا يعني أن نشأة الفرد وما طبعت عليه النفوس لها أثرها في تبلور مبادىء سياسية مختلفة باختلاف بيئة كل شخص متأتية في صالح الناس والبعض منها تحتاج إلى التمرن والتعلم حتى تكتسب فضائلها.

ثانيا: شروط السياسة أو الرئاسة:

1- الثبات على الرأي:

ولسياسة الناس شروطا وجب الاتصاف بها ليكون مؤهلا لمهمته قادرا على تحمل مسؤوليته منها " الثبات على الرأي وعدم الحيدة عنه ولو غصبا واضطرارا"، (بن رشد، 1998، صفحة 102). فقد تضطرهم الأقدار والظروف إلى الحيدة " كأن يُكره على فعل أمر من الأمور قسرا أو تهديدا، أو تصيبه الحيرة فيرتكب الخطأ، أو يتعرض للتضليل والاغراء بلذة من اللذات، أو يصاب بالنسيان طول الوقت"، (بن رشد، 1998). وبهذا فإن ابن رشد يجد في تغيير السياسي منهجيته المتبعة نوعين إما طوعا أو كرها، وغالبا ما يكون طوعا " هو الرجوع عن الرأي الخاطىء"، (بن رشد، 1998) وإما كرها " فبالغصب والإكراه" (بن رشد، 1998).

2- حب الناس أو المدينة:

وعدَ هذا الشرط أكثرهم أهمية كونه يتعامل مع أفراد تأصلت في نفوسهم حب الخير بما يصب في صالح الناس " ومن يصعب إغراؤهم في جميع الأحوال والظروف، فلا بد من اختبارهم أيضاً بالأشياء التي قد تجرهم إلى التخلي عن معتقدهم، أعني اللذات، وبالتالي قد يخيفهم سماعها"، (بن رشد، 1998).

وذكر الجاحظ أن حسن التعامل مع الناس يكسب مودتهم إذ" يجمع لك ألفة القلوب، فيعاملك كل من عاملك بمودة، و أخذ وعطاء وهو على ثقة من بصرك بمواضيع الإنصاف وعلمك بموارد الأمور"، (الجاحظ، بلا) على أن يكون باعتدال من غير إسراف "كالرفق في غير مهانة، والشدة في غير عنف، والعدل والجود بغير إسراف، وتمييز صفات الناس في أخلاقهم وسعة الصدر"، (الجاحظ، بلا). وهذا ما ورد أيضاً عند ابن حزم الاندلسي، (بن حزم الاندلسي، بلا) وأيضا ابن نصر (بن نصر، بلا).

ومن اجتمعت فيه هذه الصفات وفقا لرأي ابن رشد " ينبغي ان يترأس المدينة، ويحفظها، ويستحق التكريم حيا وميتا وعند مواراته التراب يحظى بكل ما يقوم به الأحياء لتخليد ذكرى الموتى"، (بن رشد، 1998، صفحة 103) وقد يجد البعض مبالغة من ابن رشد لمثل هذا التكريم إلا أن صدق السياسي، وعدله، ووده مع الناس يعني مجتمعا صالحا، وعلما مزدهرا، وفكرا يرتقي بما يضمن نجاح الحياة فيها.

3- أن يكون فيلسوفا:

وكون ابن رشد فيلسوفا شهيرا وعارفا بعلمه فقد تأثر بمجال فلسفته هذا وبكتاب(البرهان) لارسطو واشترط في ساسة البلد "أن يكونوا فلاسفة وتعلم الأقاويل البرهانية "، (بن رشد، 1998، صفحة 136) وتحصيل العلوم النظرية والعملية معا، والفضائل الخلقية والعلمية معا، كون الفيلسوف عند ابن رشد أحق الناس بالرئاسة.

ثالثا: دلالات الكفء السياسي في المدينة:

1- سيادة العلم:

وأورد ابن رشد صفتين مهمتين رئيستين يمثلان النجاح السياسي للمدينة هما العلم والحكمة كونهما يبرزان " جودة التدبير وسيادة الرأي" إذ يمثل اجتماعهما معا الغاية الإنسانية، (بن رشد، 1998، صفحة 117). وخاصة دراسة أخبار الماضين وتاريخهم " لتجنب أقبحها ويعتمد أجلها فإنه باب عظيم من أبواب السياسة"، (الوزير المغربي، بلا، صفحة 48) وكونه يمثل "حب العلم والعلماء" (بن عساكر، 1995).

فالسياسي الفاضل أو الأخيار منهم عند ابن رشد الذين اتخذوا من تعاليم الدين الإسلامي نهجا لهم كالعدل، والدفاع عن الرعية وحفظ حقوقهم، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وحب العلم وتقدير العلماء، فهؤلاء يستحقون رئاسة وسياسة الناس والملك وبالتالي إخلاص ومحبة وطاعة الناس لهم صار واجبا مستحقا.

2- العفة والعدل(خلق اهل المدينة):

ومن سمات التفوق في سياسة المدينة سيادة العفة التي تمثل عند ابن رشد " التوسط والاعتدال في المطعم، والمشرب، والمنكح، والعفيف من الرجال هو الذي يتوخى لنفسه دوما الوسط من الامور، ولذلك قيل العفة هي ضبط النفس وصرفها عن اللذات والشهوات"، (بن رشد، 1998، صفحة 119) وورد نصا عند ابن سينا عن أهمية ضبط النفس " ومن أوائل ما يلزم من رام سياسة نفسه أن يعلم أن له عقلا هو السائس ونفسا أمارة بالسوء كثيرة المعايب جمة المساويء في طبعها واصل خلقها هي المسوسة" (بن سينا، بلا).

وبلغ ابن رشد من الدقة والفهم أن حدد سمات خاصة بفئة معينة وأخرى تجب على جميع فئات المجتمع وليس حصرا في الرؤساء والساسة إنما لعامة الناس أيضاً " لا ينبغي أن تكون مقصورة على فئة واحدة من فئاتها، بل يجب أن تكون عامة في الرؤساء وفي الجمهور على سواء"، (بن رشد، 1998).

وأما العدل على حد رأي ابن رشد "أن الإنصاف في هذه المدينة وضبط النفس فعل من أفعال العدل"، (بن رشد، 1998) وأكد على إلزام كل فئة بما عليها من ضوابط دون تجاوز حدودها موضحا كعادته بمثال ذلك كمن "ولد قزما فأراد أن يصير على هيأة المحاربين بل الأكثر من ذلك أن يصير على هيئة الرئاسة، وهذا مجلبة للضرر الكبير" (بن رشد، 1998، صفحة 120).

فإن عملت قوة " الفهم(العقل)، وقوة الغضب(الشجاعة)، وقوة الشهوة(العفة) باعتدال"، (بن رشد، 1998، صفحة 121) ساد المدينة أو الناس الأمن والراحة، كوننا نمتلك كما تبين في العلم الطبيعي " قوتين متضادتين احداهما القوة العاقلة والاخرى النزوعية"، (بن رشد، 1998) والسيطرة عليها ضمن متطلبات السياسة المنصفة للنفس ثم الناس.

واتفق ابن عبد الازرق مع ما ورد عند ابن رشد في حماية الرعية " وبعث البعوث، وحماية الثغور، وأن القاصر عن ذلك ناقص الملك بقدر الفائت منه"، (بن عبد الازرق، بلا).

وتطرق ابن رشد إلى واحدة من أهم دلالات الكفء السياسي للمدينة وهي وحدتها " أن صاحب الأمر في هذه المدن يلزمه في سياسته أن يتوخى للمدينة من الخير أفضله كما ينبغي عليه أن يدفع عنها أكبر الشرور، ولا شر أعظم من السياسة التي تجعل من المدينة الواحدة مدنا متعددة، كما أنه لا خير أعظم من سياسة المدن من الجمع بينها وتوحيدها" (بن رشد، 1998، صفحة 130). وورد هذا عند ابن خلدون أيضا (خلدون، بلا)، وهذه من أفضل السمات وأجلها.

ومثلما للساسة واجبات فإن الناس شركاء معهم في العمل السياسي فعليهم من الواجبات أيضاً " فليس هناك شيء أجلب للشر والإرباك للمدينة من أن يردد أهلها في أمر من الأمور هذا لي وهذا ليس لي"، (بن رشد، 1998). فإن اشتراك الجميع في تحمل المسؤولية هو " كاشتراك أعضاء الجسم الحي" (بن رشد، 1998) في الألم أو الراحة.

وخالف ابن خلدون رأي ابن رشد وباقي المصنفين في آرائه إذ عدَ القهر والقوة ضرورة للتمكن والسيادة " وسيادة الملك والسلطان تقتضي أن يكون السائس وازعا بالقهر وإلا لم تستقم سياسته" (خلدون، بلا، صفحة 151).

وهذا يعني أن ابن رشد والمصنفين الذين وردت آرائهم اتفقوا على عدَ الشجاعة، والعلم، والاشتراك في تحمل المسؤولية من أهم صفات الدولة الناجحة سياسيا وبالتالي دولة قوية قادرة على حفظ أمنها وديمومته.

الخاتمة:

تبين لنا من خلال دراسة **(سياسة الملك الفاضل وسياسة الأخيار في كتاب الضروري في السياسة لابن رشد(ت595هـ/1198م)** الاتي:

- أن نشأة ابن رشد في بيئة علمية كان لها الأثر الأهم في منزلته التي بلغها بين علماء عصره وأشاد به المصنفين والمؤرخين حتى ذاع صيته في وقتنا الحاضر وفي أوربا أيضا.

- صنف ابن رشد السياسة بجميع فروعها ومسمياتها بسياسة فاضلة وسياسة غير فاضلة واختلف هذا التصنيف عند غيره بين قلة وكثرة في التسميات.

- يتصف السياسي أو الوالي بميزات تؤهله لمنصبه إما تاتي مع نشأته أو مكتسبة وإن هذا الاختلاف في طبائعه موجب للانقياد له.

- السياسات الناجحة للمدينة هي التي يتفق مجتمعها على تحمل المسؤولية فيشتركوا في الحقوق والواجبات ليكونوا سندا للوالي أو السياسي وبدوره يراعي مصالحهم.

- حصر ابن رشد صفة مهمة في السياسيين أو الولاة هو أن يكون فيلسوفا عالما بالعلوم النظرية والعملية معا ومستعدا لتحصيلها.

قائمة المصادر:

إبراهيم بن علي بن فرحون. (بلا). *الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب*. القاهرة: دار التراث.

أبو النجيب عبد الرحمن بن نصر. (بلا). *المنهج المسلوك في سياسة الملوك*. الزرقاء: مكتبة المنار.

أبو حامد بن محمد الغزالي. (1962). *ميزان العمل* (المجلد ط1). القاهرة: دار المعارف.

أبو علي الحسين بن سينا. (بلا). *رسالة ضمن مجموع في السياسة* (المجلد ط1). الاسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة.

أحمد بن القاسم بن ابي اصيبعة. (بلا). *عيون الانباء في طبقات الاطباء*. بيروت: دار مكتبة الحياة.

أحمد بن يحيى الضبي. (1967). *بغية الملتمس في تاريخ اهل الاندلس*. القاهرة: دار الكتاب العربي.

أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال. الصلة في تاريخ ائمة الاندلس. د.مد: مكتبة الخانجي.1995.

الحسين بن علي الوزير المغربي. (بلا). *رسالة ضمن مجموع في السياسة* (المجلد ط1). الاسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة.

خليل بن ايبك الصفدي. (2000). *الوافي بالوفيات*. بيروت: دار احياء التراث.

عبد الحي بن أحمد بن العماد الحنبلي. (1986). *شذرات الذهب في اخبار من ذهب*. دمشق: دار ابن كثير.

عبد الرحمن بن خلدون. (بلا). *العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر الشهير بمقدمة ابن خلدون*. بيروت: دار صادر.

عبد الله بن اسعد اليافعي. (1997). *مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان* (المجلد ط1). بيروت: دار الكتب العلمية.

عبد الملك بن عبد الله الجويني. (1980). *الغياثي غياث الامم في التياث الظلم* (المجلد ط2). السعودية: مكتبة امام الحرمين.

عبد الواحد بن علي المراكشي. (2006). *المعجب في تلخيص اخبار المغرب* (المجلد ط1). صيدا: المكتبة العصرية.

علي بن الحسن بن عساكر. (1995). *تاريخ مدينة دمشق*. بيروت: دار الفكر.

علي ين محمد الماوردي. (بلا). *الاحكام السلطانية والأول ايات الدينية*. القاهرة: دار الحديث.

عمرو بن بحر الجاحظ. (بلا). *الرسائل السياسية*. بيروت: دار الفكر.

محمد بن أحمد بن رشد. (1998). *الضروري في السياسة* (المجلد ط1). (احمد شحلان، المترجمون) بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

محمد بن أحمد الذهبي. (1993). *تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام* (المجلد ط2). بيروت: دار الكتاب العربي.

محمد بن أحمد الذهبي. (2006). *سير اعلام النبلاء*. القاهرة: دار الحديث.

محمد بن طباطبا بن الطقطقي. (1997). *الفخري في الاداب السلطانية والولايات الدينية* (المجلد ط1). بيروت: دار القلم العربي.

محمد بن علي القلعي. (بلا). *تهذيب السياسة وترتيب الساسة* (المجلد ط1). الاردن: مكتبة المنار.

محمد بن علي بن عبد الازرق. (بلا). *بدائع السلك في طبائع الملك* (المجلد ط1). بغداد: وزارة الاعلام.